

بَدْرُ شَاكِرِ التَّيَّابِ

مَنْزِلُ الْأَقْبَانِ

شعر

دار العالم للكتاب
سبوت



منزل الأقبان

بَدْر شَاكِر السِّيَّاب

مَنْزِلُ الْأَقْبَانِ

شعر

مَدُونَةٌ

Riyadh
Hamza



دارالعلم للعلايين
بيروت

الطبعة الاولى

بيروت ، آذار (مارس) ١٩٦٣

رحل النهار

رحل النهار

ها إنه انطفأت ذبالتُه على أفقٍ توهَّج دون نار
وجلستِ تنتظرين عودة سندباد من السَّمَّار
والبحرُ يصرخُ من ورائك بالعِاصف والرعود .
هو لن يعود ،

أوما علمتِ بأنه أسرته آلهةُ البحار
في قلعةٍ سوداء في جزرٍ من الدم والمحار
هو لن يعود ،

رحل النهار

فلترحلي ، هو لن يعود .

الأفق غابات من السحب الثقيلة والرعود ،
الموت من أثمارهنّ وبعض أرمدة النهار
الموت من أمطارهنّ وبعض أرمدة النهار

الخوف من ألوانهنّ وبعض أرمدة النهار

رحل النهار

رحل النهار .

وكانّ معصمك اليسار

وكانّ ساعدك اليسار ، وراء ساعته ، فنار

في شاطئٍ للموت يحلم بالسفين على انتظار .

رحل النهار

هيات أن يقف الزمان ، تمر حتى باللحودِ

خطى الزمان وبالحجار .

رحل النهار ولن يعود .

الأفق غابات من السحب الثقيلة والرعود

الموت من أثمارهنّ وبعض أرمدة النهار

الموت من أمطارهنّ وبعض أرمدة النهار

الخوف من ألوانهنّ وبعض أرمدة النهار

رحل النهار

رحل النهار .

خصلات شعرك لم يَصْنُها سندباد من الدمار ،

شربتُ أجاج الماء حتى شاب أشقرها وغار

ورسائل الحب الكثار

مبتلة بالماء منطمس بها ألق الوعود

وجلستِ تنتظرين هائمة الخواطر في دوار :

« سيعود . لا . غرق السفين من المحيط إلى القرار

سيعود . لا . حجزته صارخة العواصف في إسار .

يا سندباد ، أما تعود ؟

كاد الشباب يزول ، تنطفئ الزنابقُ في الحدود

فمى تعود ؟

أواه ، مدّ يديك بين القلب عالمه الحديد
بهما ويحطم عالم الدم والأظافر والسعار ،
بيني ولو لهنيهة دنياه .

آه متى تعود ؟

أترى ستعرف ما سيعرف ، كلما أنطفأ النهار ،
صمتُ الأصابع من بروق الغيب في ظلم الوجود
دعني لأخذ قبضتَيْك ، كماء ثلج في انهمار
من حيثما وجهت طرفي .. ماء ثلج في انهمار
في راحتيّ يسيل ، في قلبي يصبّ إلى القرار .

يا طالما بهما حلمتُ كزهرتين على غدير

تفتتحان على متاهة عزلي . «

رحل النهار

والبحر متسع وخاوٍ . لا غناء سوى الهدير

وما بين سوى شراعٍ رنحته العاصفات ، وما يطير

إلا فؤادك فوق سطح الماء يخفق في انتظار .

رحل النهار

فلترحلي ، رحل النهار

بيروت ٢٧ - ٦ - ٦٢

.

هدير البحر والأشواق

هدير البحر يفتل من دمائي ، من شرايبي

حبال سفينةٍ بيضاء ينعس فوقها القمر

ويُرعش ظلّها السحر .

ومن شبّاكي المفتوح تهمس بي وتأتيني

سواء الصيف خلف طيفه في صحوها المطر

ونحن نسير ، والدنيا تسير وتقرع الأبواب
فتوقظ من رواء القلب : ذلك عدوك الزمن
تدور رحاه .. كم ستظل تحفق ؟ ها هم الأصحاب
تراب منه تمتلئ الدروب وتشرب الدمن !

يود القلب لو حطمتِهِ ، لو حطمتْ خفقاته شفتيكِ
والكتفين والصدرا ،

ولو ذرتك من زفرا تي الحرى
رياح الوجد والحرمان . والهنى على عينيكِ
ليتهما تمران

بدمع أو بأشفاقٍ على صحراء حرمانى

لينبت في مداها الزهر . ليتها تمرانِ ،
بما نسج التأمل من غيوم فيها حيرى
بما نسج التفرد من نجومٍ فيها سكرى ،
على عمري الذي عراه من زهراته الداءُ .
يود القلب لو حطمته لو حطمت خفقاته شفئك
والكتفين والصدرا

ولو عراكِ ، لو ذراكِ ، لو أكلتكِ أشواقى
ولو أصبحتِ خفقا أو دماءً فيه أو سرا
فإن أحبتك الحب الذي أقسى من الموت
وأعنف من لظى البركان والحب الذي يأتي

إليّ ، لأنّ نَفخَ الصور فيه ، فكل ذر الميتين دمٌ وأحياء
هالك لأنك النور الذي عرّى دجى الأعمى
وَأنتَ سبّاي عادِ إليّ ، أختاً عادِ أو أمّا .
وَأنتَ حبيبتِي ، أفديك ، أفدي خفق جفنيك
وَأنفصا من السحب
وأفادي خفق نهديكِ
ملى قلبي !

سروت ١ - ٧ - ٦٢

نداء الموت

يمدّون أعناقهم من ألوف القبور يصيحون بي :
أن تعال .

نداء يشق العروق ، يهزّ المشاش ، يبعثر قلبي رمادا

« أصيل هنا مُشعَل في الظلال

تعال اشتعل فيه حتى الزوال »

جادودي وآبائي الأولون سراب على حد جنمي تهادى .
وبني جذوة من حريق الحياة تريد المحال .

وغيلان يدعو « أبي سرّ ، فأني على الدرب ماشٍ أريد
الصباح . »

وتدعو من القبر أمّي « بنيّ احتضني فبرد الردى في عروقي
فدفّء عظامي بما قد كسوت ذراعيك والصدر ، واحم
الجراح

جراحي بقلبك أو مقلتيك ولا تحرفنّ الخطى عن طريقي «
ولا شيء إلاّ إلى الموت يدعو ويصرخ ، فيما يزول .
خريف ، شتاء ، أصيل ، أفول .

وباقٍ هو الليلُ بعد انطفاء البروقِ
وباقٍ هو الموت ، أبقى وأخذ من كل ما في الحياه
فيا قبرها افتح ذراعيك ...
اني لآتٍ بلا ضجّةٍ ، دون آه !

بروت ٦ - ٥ - ٦٢

ربيع الجزائر

سلاماً بلادَ اللظى والحراب
ومأوى اليتامى وأرض القبور ،
أتى الغيث وانحلّ عقد السحاب
فروى ثرى جائعاً للبدور .
وذاب الجناح الحديد

على حمرة الفجر تغسل في كل ركن بقايا شهيد
وتبحث عن ظامئات الجذور .

وما عاد صباحك ناراً تقعقع غضبي وترزع ليلاً
وأشلاء قتلى

وتنفث قابيل في كل نارٍ يسفّ الصيد .

وأصبحتِ في هدأةٍ تسمعين نافورةً من هتاف

لديكٍ يبشّر أن الدجى قد تولّى

وأصبحت تستقبلين الصباح المطلاً

بتكبيرةٍ من ألوف المآذن كانت تخاف

فتأوي إلى عاريات الجبالِ
تبرقع أصداءها بالرمالِ .

* * *

بماذا ستستقبلين الربيع ؟
ببتيا من الأعظم الباليه
لها شعله رشّت الداليه ،
تعير العناقيد لون النجيع .
وفي جانبي كل درب حزين

عيون تحديق ، تحت الثرى

تحديق في عورة العاجزين .

لو تستطيع الكلام

لصبت على الظالمين

حميماً من اللعنات ، من العار ، من كل غيظ دفين .

ربيعك يمضغ قَيْحَ السلام .

* * *

بيوتك تبقى طوال المساء

مفتحةً فيك أبوابها

لعل المجاهد بعد انطفاء اللهب وبعد النوى والعناء

يعود إلى الدار يدفن تحت الغطاء

جراحاً ، يفرّ إليه الصغار ترفرف أثوابها

يصيحون « بابا » فيفطر قلب السماء

– « وماذا حملت لنا من هديته ؟ »

– « غداً ضاحكاً أطلعتهُ الدماء . »

وكم دارةٍ في أقاصي الدروب القصية

مفتحة الباب ، تقرعه الريح في آخر الليل قرعا

فتخرج أم الصغار

ومصباحها في يدٍ أرعش الوجد منها ،
يرود الدجى ، ما أنار
سوى الدرب قفر المدى ، وهي تصغي وترهف سمعا
وما تحمل الريح إلاّ نباح الكلاب البعيد ،
فتُخفت مصباحها من جديد

* * *

« ولما استرحنا بكيئنا الرفاق ! »

هماس لأنبيس (١) عبر القرون

١ - بطل (انياذة) فرجيل .

وَأَنْتِ تَدْمَعِ فِيكَ الْعَيُونَ
وَتَبْكِينَ قَتْلَكَ .

نامت و غيَّ فاستفاق

بكِ الحزنُ : عاد اليتامى يتامى ،
'ردى' عاد ما 'ظن' يوماً فراق .

سلاماً بلاد الشكالى ، بلاد الأيامي

سلاما

سلاما ...

بيروت ٧ - ٦ - ٦٢

خُذْنِي

خُذْنِي أَطْرُقُ فِي أَعَالِي السَّمَاءِ

صَدَى غَنْوَةٍ ، كَرَكْرَاتٍ ، سَحَابِهِ !

خُذْنِي فَأَنْ صَخُورِ الْكُتَابِ

تَشْدُ بَرُوحِي إِلَى قَاعِ بَحْرِ بَعِيدِ الْقَرَارِ .

خُذْنِي أَكُنْ فِي دَجَاكِ الضِّيَاءِ

ولا تركيني ليلِ القفارِ .

إذا شئتِ ألاّ تكوني لناري

وقوداً ، فكوني حريقاً .

إذا شئتِ أن تخلصي من إساري ،

فلا تركيني طليقاً .

خذيني إلى صدركِ المتقلِّ

بهمّ السنين .

خذيني فأني حزين

ولا تركبني على الدرب وحدي أسير إلى المجهل

وكانت دروبي خيوط اشتياق

ووجدٍ وحبٍّ

إلى منزلٍ في العراق

تضيء نوافذه ليل قلبي ،

إلى زوجةٍ كان فيها هنائي

وكانت سمائي

كواكبها ترسم الدرب ، دربي .

• عادت عليها رياح سموم
• نثر خيطان تلك الدروب البعيده ،
• عادت جدى كل تلك النجوم
• سلبت عليها ، وعادت مسامير نعشِ
• عادت دروبي درباً إذا جئت أمشي
• رماني اليك ، كوزنٍ يقوم التصيده .
فوالهف قلبي عليكِ
ودرب رماني إليكِ !

أما تعلمين بأني تشهيتكِ البارحه

أشمّ رداءكِ حتى كأني

سجين يعود إلى داره يتنشّق جدرانها :

هنا صدرها ، قلبها كان يخفق - كان التمني

يدغدغه ، يُشعل الشوق فيه إلى غيمةٍ رائحة

لأرض الحبيب : سننضح أركانها

بذوب نداها .

تشهيتك البارحة

فقبّلت ردن الرداء : هنا ساعداها .

هنا إبطها ، يا لكهف الخيال°

ومرفأً ثغري إذا جرفته رياح ابتهاج

«درجه مدّ شوقٍ ملحٍ ، وقد حار فيه السؤال :

« تحبيني أنتِ ؟ هل تخجلين ؟

أم استنزفت شوقك الكبرياء

فلم يبق الاّ ابتسام الرثاء ؟

أترئين لي أم ترى تشفقين

على قلبك انهدت تحت الصليب المعلق في صخرة الكبرياء ؟»

نباح الكلاب المبعثر في وشوشات النخيل

ينبه في قلبي الذكريات العتاق

ويربط دقات قلبي بأرض العراق
لأسمع « بابا » فيطفأ حبي وتبرد نار الغليل
وأعدو على الدرب شدت خطاي عليه
نوافذ بيتي تجمد فيها الضياء :
تغربتُ عنه وعدتُ إليه .

بيروت ٣ - ٧ - ٦٢

حامل الخرز الملون

ماذا حملت لها سوى الخرز الملون والضباب ؟
ما خضتَ في ظلمات بحر أو فتحت كوى الصخور
والرياح ما خطفت قلوبك ، والسحاب
ما بلّ ثوبك . ما حملتَ لها سوى الدم والعذاب .
في سجنها هي ، خلف سور .

في سجنها هي : وهو من ألمٍ وفقر واغتراب
عشر من السنوات مرّت وهي تجلس في ارتقاب
أطفالها المتوثبون مع الصباح
صمتوا وكفّوا عن مراح ،
زجرهم لتُحسّ وقع خطاك . برعمت الزهور
وأتى الربيع وما أتيت . وجاء صيفٌ ثم راح
ماذا يعينك في سواحل نائياتٍ ؟ في قصور
قفر يعيش الغول فيها ، كلما رمت الرياح
بخطام صاريةٍ تحفّز ؟ ما يعيقك عن رجوع ؟
لم تبق للغاء من دموع

في مقلتيها ، لا ولم يبق ابتسام للقاء !
ستعود ، حين تعود : بالحرز الملون والهباء ،
ستضمّ منها طيف أمس ، فلا يُجيبك في الضلوع
منها سوى دمك المفجّع والحواء !

بيروت ٩ - ٥ - ٦٢

سِفْرُ أَيُّوبَ

١

لك الحمد مهما استطال البلاء°
ومهما استبدّ الألم° ،
لك الحمد ، ان الرزايا عطاء
وان المصيبات بعض الكرم° .

ألم تُعطني أنت هذا الظلامُ
وأعطيتني أنت هذا السّحرَ ؟
فهل تشكر الأرضَ قَطَرَ المطرِ
وتغضبُ ان لم يَجِدْها الغمامُ ؟
شهورٌ طوالٌ وهذي الجراحُ
تمزّق جنبيّ مثلَ المُدَى
ولا يهدأ الداءُ عند الصباح
ولا يمسح اللّيلُ أوجاعه بالردى .
ولكنّ أيّوبَ إنّ صاح صاح :
« لك الحمدُ ، ان الرزايا ندى ،

وإنّ الجراحَ هدايا الحبيبِ
أضْمَ إلى الصّدْرِ باقَاتِهَا ،
هداياكَ في خافقي لا تغيب ،
هداياكَ مقبولةٌ . ها-تها ! »
أشدّ جراحي وأهتف بالعائدين :
« ألا فانظروا واحسدوني ، فهذي هدايا حبيبي . »
وانّ مسّت النارُ حرّ الجبين
توهمتُها قُبلةً منكَ مجبولةً من لهيبِ .
جميلٌ هو السّهْدُ أرعى سماكَ
بعينيّ حتى تغيبَ النجومُ

ويلبسَ شبَّاكَ داري سنَّاكُ .
جميلٌ هو الليل : أصداء بوم
وأبواقُ سيَّارةٍ من بعيد
وأهاتُ مرضى ، وأمَّ تُعيد
أساطيرَ آباءها للوليد .
وغاباتُ ليل السَّهادِ ، الغيوم
تُحجِّبُ وَجْهَ السَّماءِ
وتجلوه تحت القمر .
وانِ صاحِ أَيْوبُ كانِ النِّداءُ :

« لك الحمد يا رامياً بالقَدَرُ
ويا كاتباً ، بَعْدَ ذاكَ ، الشِّفاء ! »

لندن ٢٦ - ١٢ - ٦٢

٢

من خَلَلِ الثَّلْجِ الَّذِي تَنَثَّه السَّمَاءُ
من خَلَلِ الضَّبَابِ وَالْمَطَرِ
المح عَيْنِيكَ تَشْعَانِ بِلا انْتِهَاء
شِعَاعَ كَوْكَبٍ يَغِيبُ سَاعَةَ السَّحَرِ
وتَقْطِرَانِ الدَّمْعَ فِي سَكُونِ
كَأَنَّ أَهْدَابَهُمَا غُصُونِ

تنطف بالندى مع الصباح في شتاء .
من خلل الدخان والمداخن الضخام
تمجّ من مغارِ قابيلَ على الدروب والشجر
ذراً من النجيع والضرام
أسمع غيلانَ يناديكِ من الظلام
من نومهِ اليتيمِ في خرائب الضجر .
سمعتِ كيف دقّ بابنا القدر ؟
فارتعشتُ على ارتجافِ قرعهِ ضلوع ؟
ورقرقتُ دموع ؟

فاختلس المسافرُ الوداعَ وانحدر ؟

*

وقبلةٍ بين فمي وخافقي تحارُ

كأنَّها النَّاءُ في القفار

كأنَّها الطائرُ إذْ خرَّبَ عشَّه الرياحَ والمَطَرُ ،

لم يحوها خدَّ لغيلانَ ولا جبينُ

ووجَّهَ غيلانَ الذي غابَ عن المطار !!

وأنتِ إذْ وقفتِ في المدى تُلوِّحِينَ !!

* *

٤٤

إقبالُ .. إنَّ قِيَّ دمي لوجهكِ انتظار ،
وفي يدي دمٌ ، إليكِ شدةُ الحنينِ .
ليتكِ تُقبَلينِ
من خَلَلِ الثلجِ الذي تنثه السماء ،
من خَلَلِ الضبابِ والمطر !

لندن ٢٧ - ١٢ - ٦٢

بعيداً عنك ، في جيڪور ، عن بيتي وأطفالي
تشدّ مخالبُ الصوّانِ والأَسفلتِ والضّجَرِ
على قلبي ، تمزّق ما تبقى فيه من وترٍ
يدندنُ : « يا سكونَ الليل ، يا أنشودةَ المطرِ » ،
تشدّ مخالبُ المالِ
على بطني الذي ما مرّ فيه الزادُ من دهرٍ .
عيون الجوع والوحده

نجومي في دجى صارعتُ بين وحوشه برّده ،
وإن البرد أفضعُ ، لا .. كأنّ الجرعَ أفضعُ ، لا .. فإنّ الداءُ
يشلّ خطاي . يربطُها إلى دوامةِ التَدَارِ .
ولولا الداء صارعتُ الطوى والبرد والظلماء .
بعيداً عنكِ أشعر أني قد ضعت في الزحمة
وبين نواجذ الفولاذ تمضغ أضلعي لقمه .
يمرّ بيّ الورى متراكضين كأنّ على سَفَرٍ ،
فهل أستوقف الخطواتِ ؟ أصرخُ : « أيها الانسان
أخي ، يا أنتَ . يا قابيلُ .. خذْ بيدي على الغمّة !

أعني ، خفف الآلامَ عني واطرد الأحزان « ؟
وأين سواكِ من أدعوه بين مقابر الحجّـر ؟

*

ولولا الداء ما فارقتُ داري ، يا سنا داري
وأحلى ما لقيتُ على خريف العُمُر من ثَمَر .
هنا لا طيِّرَ في الأغصان تشدو غيِّرَ أطيَّارِ
من الفولاذ تهدر أو تُحمِّمُ دونما خوفٍ من المطرِ
ولا أزهارَ إلاّ خلفَ واجههٍ زجاجيه

يُراح إلى المقابر والسجون بهنّ والمستشفيات .
ألا .. ألا يا بائعَ الزهرِ

أعندك زهرةٌ حيّةٌ ؟

أعندك زهرةٌ مما يربّ القلبُ من حُبِّ وأهواءِ ؟

أعندك وردةٌ حمراءُ سقطتْها شمسٌ إستوائيّةٌ ؟

* *

أأصرخُ في شوارعِ لندنَ الصّماءِ : « هاتوا لي أحبائي » ؟

ولو أني صرختُ فمن يُجيب صراخَ متحيرِ
تمرّ عليه طولَ الليلِ آلافٌ من القطرِ ؟

لندن ٢٨ - ١٢ - ٦٢

يا ربَّ أَيُّوبَ قد أَعْيَا به الداءُ
 فِي غَرَبَةٍ دُونَمَا مَالٍ وَلَا سَكَنٍ .
 يَدْعُوكَ فِي الدُّجَانِ
 يَدْعُوكَ فِي ظَلَمَاتِ الْمَوْتِ : أَعْبَاءُ
 نَاءَ الْفِرَادِ بِهَا ، فَارْحَمِهِ إِنْ هَتَفَا .
 يَا مُنْجِيًّا فُلُوكَ نُوْحٍ مَزَقِ السُّدَفَا

عني . أعدني إلى داري ، إلى وطني !

* *

أطفالُ أيّوبَ من يرعاهمُ الآنَا ؟
ضاعوا ضياعَ اليتامى في دجىّ شاتٍ .
يا ربِّ أرجعْ على أيّوبَ ما كانا :
جيكورَ والشمسَ والأطفالَ راكضةً بين النّخيلَاتِ
وزوجَهَ تتمرّي وهي تبتسمُ
أو ترقبُ البابَ ، تعدو كلّمَا قُرِعَا :

لعله رجعا
مشاءةً دون عكازٍ به القدامُ !

* *

في لندنَ الليلُ موتٌ نزعهُ السهرُ
والبردُ والضجرُ

وغربةٌ في سواد القلب سوداءُ
يا ربَّ يا ليتَ أني لي إلى وطني
عودٌ لتلثميني بالشمس أجواء

منها تنفستُ رُوحِي : طينها بدّاني
وماؤها الدمُ في الأعراق ينحدرُ .
يا ليتني بيّن من في تُربها قُبروا .

* * *

لأنّه منك ، حلوٌ عندي المرّضُ ،
حاشا ، فليستُ على ما شئتَ أعرّضُ
والمال ؟ رزقٌ سيأتي منك موفور ،
هيهات أن يذكر الموتى وقد نهضوا

٥٣

من رقدة الموت كم مصّ الدماء بها دودٌ ومدّ بساط
الثلج دُجورٌ !

إني سأشفي ، سأنسى كلَّ ما جرّحا
قلبي ، وعرّى عظامي فهي راعشةٌ والليل مقرور
وسوف أمشي إلى جيكورَ ذات ضحى !

لندن ٢٩ - ١٢ - ٦٢

نازلاً نازلاً من صحارى السماء ،
من عصور جليديّةٍ ، من قبورٍ
نام فيها الهواء .

أيّها الثلج ، يا حشرات الدهور
وانتخابَ المساكين في كلِّ كهفٍ يغور
في جبال السنين ،

من

كن هيباً على أوجه العابرين ،
قنّع الخوفَ فيها بلون الرجاء .

* * *

أبها الثلج رحماك ، إني غريب
في بلادٍ من البرد والجوع سكرى ،
ان لي منزلاً في العراق الحبيب
صبيتي فيه تعلق صخرا .
آه ، لولاك يا داءُ ما عفتُ داري .

ما تركت الزهورَ التي فتّحتْ في جداري
والعصافيرَ في ركنِ بيتي هُنَّ اختصامُ .
مرّ يومٌ ، فشهراً ، فشهراً ، فعامُ

* * *

والزمان ارتمائاً بدون انتهاء
نزفر الأرض عنه وتبكي السماء .
ربِّ ، هل لي إلى منزلي من رجوع ؟
دم أمدّ الذراع وأهدم سقْفَ الضلوع

ن

لا أمسّ المدى أو أصيبُ الزمانا ،
فهو شيء على الروح يسعى : هباءٌ وظلمه .
ليت عَصَرَ النبوات لم يطوِ حلمه ...
وشتّ المعجزات الحواشي فكانت وكانا .

* * *

ليتني العازرُ انفضّ عنه الحِمام ،
يسلك الدربَ عند الغروب ،
يتمهّلُ لا يقرع الباب : من ذا يؤوب

• من سراديبَ للموت عبر الظلام ؟
ان تصدِّقْ أنِّي ... ستهوي يداها
• من رتاجٍ ، وتصفرُّ لي وجنتها
ثم تركض مذعورةً وتشدُّ بخيوط الدروب
نحو قبري ، وتطويه حتى تمسَّ الضريحَ الحطام .

* * *

1

إيه إقبال ، لا تيأسى من رجوعي
هاتفاً قبل أن أقرع الباب : عادا

عازرٌ من بلاد الدجى والدموعِ .
سورُها كان ملحاً . نجيعاً ، رمادا .
قبليني على جبهةٍ صكَّها الموتُ صكّاً أليماً ،
حدّقي في عيونٍ شهدن الردى والمعادا .
عدتُ . لن أبرح الدارَ حتّى لو انّ النجوما
دحرجت سُلماً من ضياءٍ وقالت :
تخطّ السديما .

لندن ٣١ - ١٢ - ٦٢

خيالُ الجَسَدِ العاري
 يُطلّ عليّ محمولاً على موجٍ من النارِ
 من المدفأة الحمراء ، ذاك الرَّحيمِ الضاري .

لكلّ تقلّب من موجها خفتقٌ من القلبِ .
 تدحرج : عُريّ النهدان ، بانّ الجيدُ والساقُ .

تدحرج لي على الجنبِ ،
تدحرجَ ثمَّ صكَّ أضالعي ، وتُثارُ أعراقُ
ويطفِرُ للجبينِ دمٌ ، ويعروني
دُوارٌ منه تصطكُ النواجذُ : خَوْفَ بحارِ
يُطلِّ فيبُصرُ التَّيارَ يزفرُ مثلَ تينٍ .
ويصرخُ آدمُ المدفونُ فيَّ : رضيتُ بالعارِ .
بطردِي من جنانِ الحُلْدِ أركضُ إثرَ حواءِ
أريدكِ ، يا سراباً في خيالي ليس يسقيني ،
أريدكِ . ثمَّ تُطوى موجةٌ وتطيرُ أشلاءُ

لقاعاتُ من النيران ، من شوقٍ وتذكاري .

* * *

وجاء الجسدُ العاري ،

خيالاً جاء محمولاً على موجٍ من النارِ

من المدفأةِ الحمراء ، ذاك الرحيمِ الضاري .

يميل عليّ كيف أشاءُ ، أعصره كما أهوى ،

ولا يقوى

على رفضي ، على تهديم عرشٍ من لظى وارٍ

أتوج فوقه الآمال راعشة التوى شهوى .

بحارٌ بيننا : ليبلان من مدُنٍ وأمطارٍ ،

وإنك منكٍ أقربُ ، أنتِ بعضُ دمي ،

خيالي أنتِ . أمنياتٍ عمري ... كل أمنيته

بعاطفتي تُتحركُ لا عواطفك الأنايية .

علام مددتِ بحرّاً بيننا ، دنيا جليديه

أعانقُ في دجاها جسمكِ العاري

يطلُّ عليَّ محمولاً على مَوْجٍ من النارِ
من المدفأةِ الحمراءِ ، من وهمي وأفكاري .

لندن ٢١ - ١٢ - ٦٢

٢٠

٧

البرْدُ وَهَسَّهَسَةَ النَّارِ

ورماد المدفأةِ الرَّمْلُ

تطويه قوافلُ أفكاري .

أنا وحدي يأكلني اللَّيْلُ .

وينجّب المركب إلى داري :
برقٌ يتلامح في الآفاق ، يعرّيهَا
وينذرِيهَا
كرماد المبخرة الثكلى
في مقبرةٍ تهب اللّيلا
ألوانَ الموت وآهاتِ الموتى فيها .

*

يا ليل . لكم طال الدّرب .

تعب الركبُ ،

وعراقي شطّ ، وسهاري

ناموا . وبقيتُ ولا زادُ

عندي ، وظمئتُ ولا ماءٌ . ظمئُ القلبُ :

لا سقيا غير شظيَّات البرق الواري .

يا أغصانَ الليلِ انهمري ثمرّاً إذ يُؤكل يزدادُ

السلةُ منه سأملاًها حتّى إنْ عدتُ إلى داري

فرحَ الأطفالُ به ، هتفوا : « بابا .. »

يا برق ، أما تحبو

فيغيبَ الدربُ ، ولا يبدو
كم منه على الساري بَعْدُ !

* *

البرد وهسهسةُ النار
ورماد المدفأةِ الرملُ
تطويده قوافلُ أفكارِي .
أنا وحدي يأكلني اللّيلُ !

لندن ١ - ٢ - ٦٣

س

ذكرتك يا لميعةُ والدجى ثلجٌ وأمطارُ ،
 ولندنُ نام فيها الليل ، مات تنفُّسُ النورِ .
 رأيتُ شبيهةً لك شَعْرها ظَلَمَ وأنهارُ ،
 وعيناها كينبوعين في غابٍ من الحورِ .
 مريضاً كنتُ تُثقل كاهلي والظَهْرَ أحجارُ ،
 أحنّ لريفِ جيِّكُورِ

وأحلم بالعراق : وراء بابٍ سدّت الظلماءُ
باباً منه والبحر المزجرُ قام كالسورِ
على دربي .
وفي قلبي
وساوسُ مظلماتُ غابت الأشياء
وراء حجابهنّ وجفّ فيها منبع النورِ .
ذكرتُ الطلعةَ السمراءَ ،
ذكرتُ يديك ترتجفان من فرَقٍ ومن برْدِ
تنزُّ به صحارى للفراق تسوطُها الأنواء .
ذكرتُ شحوب وجهك حين زمّرَ بوقُ سيّاره

٧٠

ليؤذنَ بالوداع . ذكرتُ لذعِ الدمعِ في خدي
ورعشةَ خافقي وأنينَ روحي يملأُ الحاره
بأصداءِ المقابر . والدجى ثلجٌ وأمطار .

لندن ٢ - ١ - ٦٣

بالعضل المفتول والسواعد المجدوله
هـِرْقَلُ صَارِعَ الردى في غاره المحجَّبِ
بظلمةٍ من طحلبِ .
وقام تموزُ بجرحِ فاغِرٍ مخضَّبِ
يصك (مَوْت) صكَّةً ، محجَّباً ذيوله
وخطوهُ الجليدَ بالشقيق والزنابقِ .

* * *

وانخطف الموتُ عليّ كأنخطف الباشقِ
على العصافير ، أحال ظهري
عمود ملحٍ أو عمود جمرٍ ،
أحرك الأظراف لا تطيعني ، مشلوله ،
مات الدم الفوّار فيها ، أطفئ الشبابُ ،
وامتدّ نحو القبرِ درّبُ ، بابُ
من خشب الصليب : فالمسيحُ
ماتَ ، وفي الطوفان ضلّ نوحُ .
وأغضيتُ نواظري الذليله ...

لعلها تعتاد من دجاها
على دجى غطاؤها الضريح .

* * *

أى سلاح ؟ آه ، أى ساعدٍ ؟
أية أزهارٍ تمدُّ فاها
لتأكل الموت ؟ وأى ناصرٍ مساعدٍ ؟
سلتُ من قصائدي
سيفاً كأن البرقَ حدّادٌ رمى أصوله

وصبّ مقبضاً له وشفره .

بالشعر ، بالمبرق ، بالمُجلجلِ المدوّي

رميتُ وجه الموتِ يهوي نحوي

كأنه الستار في روايةٍ هزيله ،

رميتُ وجهه الموت ألف مرّة

إذا أطلّ وجهه البغيضُ

كأنه السيرين (١) ، يسعى جسمي المريضُ

نحو ذراعَيْه بلا ترددٍ

(١) السيرين ، كما في الاوديسة ، حورية بحر تغني فتجذب اليها من يسمعا .

فأنتضي من سيفي المجردِ ،
ويقطر الشّعْرُ ولا يغيضُ ،
لأنني مريضُ
أودّع الحياةَ أو أشدّ بالحياةِ
بخيّطه الموروثِ عن أمواتِ
لم يدفع الشّعْرُ منايهم وقد

جاءت إليهم غيله !

٦٣ - ١ - ٢

يا غيمةً في أوّل الصباحُ

تعربد الرياح

من حولها ، تنتفُ من خيوطها ، تطيرُ

بها إلى سماءٍ تجوع للحريز ،

سينطوي الجناح ،

ستنتفُ الرياح ريشهُ مع الغروب ،

يا غيمةً ما أمطرتُ ، تذوب .

*

فأبرقي وأرعدي وأرسلني المطرُ

ومزّقي ذوائبِ الشجرِ

وأغرقي السهوبُ

وأحرقني الثمر .

سترجننّ بعدك السنابلُ الثقالبُ بالحبوب ،

وتقطف الورودَ والأفاحُ

صبيةٌ يوّجّ في وجنتها الجنوب ،

وأنتِ ذرّةٌ من الدماء والجراح .

* *

وأنتَ يا شاعرَ واديك ، أما تؤوب

من سَفَرٍ يطول في البطاح ،

تُراقص النَّهْرَ

وتلثم المَطَرُ ؟

أما سمعتَ هاتفَ الرواح ؟ :

« خامٌ وزنبيلٌ من الترابِ

وآخرَ العُمُرِ رديٌّ » . ويطلع القَمَرُ

فأبرق ارعد ، أرسل المطر

قصائدَ احتوى مداها دارةَ العُمُرِ ،

يا غيمةً في أول الصباح ،
يا شاعراً يهيم بالرواح ،
وودّع القمر !

لندن ٢ - ١ - ٦٣

مَنْزِلُ الْأَقْسَانِ

فِي جِيكُور

خُرَابٌ ، فَانزَعِ الْأَبْوَابَ عَنْهَا تَغْدُ أَطْلَالًا ،
خَوَالٍ قَدْ تَصَكُّ الرِّيحُ نَافِذَةً فَتُشْرِعُهَا إِلَى الصَّبْحِ
تُطَلِّ عَلَيْكَ مِنْهَا عَيْنُ بَوْمٍ دَائِبِ النَّوْحِ .
وَسَلَّمَهَا الْمَحْطَمَ ، مِثْلَ بَرَجٍ دَائِرٍ ، مَالًا

يئنّ إذا أتته الرياح تصعده إلى السطحِ ،
سفينٌ تعركُ الأمواجُ ألواحهُ .

* * *

لما أتته
الرياح تصعده
إلى السطح

وتملأ رُحْبَةَ الباحة
ذوائبُ سدرَةٍ غبراءَ ترحمها العصافيرُ
تعدّ خطى الزمان بسقسقاتٍ ، والمناقيرِ
كأفواهٍ من الديدان تأكل جثّة الصمّتِ
وتملأ عالم الموتِ

بهسهسه الرثاء ، ففزع الأشباح تحسب أنه النورُ
سيشرق ، فهي تمسك بالظلال وتهجر الساحه
إلى الغرف الدجيه وهي توظف ربه البيت :
« لقد طلع الصباح » . وحين يبكي طفلها الشبحُ
تهدهده وتنشد : « يا خيول الموت في الواحه
تعالى واحمليني ، هذه الصحراء لا فرحُ
يرف بها ولا أمنٌ ولا حبٌ ولا راحه » .

* * *

ألا يا منزلَ الأَقنانِ ، كم من ساعدٍ مفتولٍ
رأيتَ ومن خطيٍّ يهترّ منها صخرُك الهاري !
وكم أغنيّةٍ خضراءَ طارت في الضحى المغسولِ
بالشمس الحريفيّة ،
تحدّث عن هوىّ عاري
كهاء الجدول الرقراق ! كم شوقٍ وأمنيّه !!
وكم ألم طويّتَ وكم سقيتَ بدمعٍ جاري !
وكم مهد تهزّز فيك : كم موتٍ وميلادِ
ونارٍ أوقدتُ في ليلة القمّ الثمائيّه !!
يدندنُ حولها القصّاص : « يُحكى أنّ جنيّه ... »

فيرتجف الشيوخ ويصمت الأطفال في دهّشٍ وإحلامٍ
كأنّ زئير آلاف الأسودِ يرنّ في وادٍ
وقد ضلّوا حيارى فيه ، ثمّ ترنّ أغنيته :
« أتى قمرُ الزمان .. » ، ودندن القصّاص ! « جنيته »
وبؤسهم المرير : الجوع والأحزان والسّقمُ
وظفلٌ مات لما جفّ درٌّ - ماتت المغزى
وجاعت أمّه فالتدّيُّ لا لبنٌ ولا لحمٌ .
سمعتُ صراخها والليل ينظر نجمه غمّزا ،
ووكولة الأب المفجوع يحنق صوته الأليمُ .

* * *

ولو نُخَيِّرْتُ أبدلتُ الذي ألقى بما ذاقوا ،
مضتُ ما أعاني : شلّ ظهرٌ وانحنتُ ساقٌ .
على العكّاز أسعى حين أسعى ، عاثر الخطوات مرتجفا
غريبٌ غير نار الليل ما واساه من أحدٍ
بلا مال ، بلا أملٍ ، يقطعُ قلبه أسفا .
ألستُ الراكضَ العداءَ في الأمس الذي سلفا ؟
أمكثُ في ديار الثلج ثمّ أموت من كمدٍ
ومن جوعٍ ومن داءٍ وأرزاءٍ ؟
أمكثُ أم أعود إلى بلادي ؟ آه يا بلدي
وما أمل العليل لديك شحّ المال ثم رمته بالداءِ

سهامٌ في يد الأقدار ترمي كلَّ من عطفنا
على المرضى وشدَّ ضلوع كلِّ الجائعين بصدرة
وكفكفَ أدمع الباكين يغسلها بما وكفا
من العبرات في عينيه - إلاَّ رحمةُ اللهِ ؟؟

* * *

ألا يا منزل الأقدان ، سقتك الحيا سحُبُ
تروِّي قبري الظمان ،
تلثمه وتنتحبُ !

لندن ٣ - ١ - ٦٣

وَصِيَّةٌ مِنْ مُحَمَّدٍ ص

يا صمْتُ ، يا صمْتَ المقابرِ في شوارعها الحزينه ،
أعوي ، أصبح ، أصبح في لَهْفٍ فأسمع في السكينه
ما تنثر الظلماءُ من ثلجٍ وقارٍ
تُصدي عليه خطيَّ وحيداتٌ ، وتبتلع المدينة
أصداءهنَّ ، كأنَّ وحشاً من حديدٍ ، من حجارٍ ،
سفَّ الحياة فلا حياة من المساء إلى النهارِ .

أين العراق ؟ وأين شمس ضُحاه تحملها سفينه
في ماء دجلةَ أو بُويَّبَ ؟ وأين أصداء الغناءِ
خفقتْ كأجنحة الحمام على السنايل والنخيلِ
من كلِّ بيتٍ في العراق ؟

من كلِّ رابيةٍ تذرُّها أزاهيرُ السهول ؟

، إنْ متَّ يا وطني فقبْرُ في مقابرِك الكئيبه

أقصى مناي . وإنْ سلمتْ فأنَّ كوخاً في الحقولِ ،

هو ما أريدُ من الحياة . فدى صحارك الرحيبه

أرباضُ لندن والدروب ، ولا أصابتك المصيبه !

* * *

أنا قد أموت غداً ، فأنّ الداء يقرض ، غيرَ وانِ .
حبلًا يشدّ إلى الحياة حطام جسمٍ مثلِ دارِ
نحرتُ جوانبها الرياحُ وسقفها سيلُ القطارِ ،
يا إخوتي المتناثرين من الجنوب إلى الشمالِ
بين المعابر والسهول وبين عالية الجبالِ ،
أبناء شعبي في قراه وفي مدائنه الحبيبه ...
لا تكفروا نِعَمَ العراقِ ...
خير البلاد سكنتموها بين خضراءٍ وماءٍ ،
الشمس ، نور الله ، تغمرها بصيفٍ أو شتاء ،
لا تبتغوا عنها سواها .

(١) الشاهدة

« يا قارئاً كتابي

ابكِ على شبابي . »

شاهدة بين القبور تبكي

(١) لوحة توضع عند القبر يكتب عليها اسم الميت أو حكمة
أو أبيات من الشعر .

تستوقف العابرَ . يا صحابي
غضّوا الخطى ولتصمتوا : ان القرونَ تحكي
في جملةٍ أُخطت على الترابِ .
من نام في القبرِ ودودَ القبرِ ؟
يُسأل لا ينطق بالجواب ؟!
سيّان عنده ائتلاقُ الفجرِ
وظلمةُ الليلِ . بلا ثيابِ
بلا طعامٍ ، لا هوىً ، لا حقدُ .
أفقر أهلَ الفقرِ
فيه وأغنى الأغنياء . تعدو

في قبره الجردانُ وهو غافِ
نام من الديدان في لحافِ !؟

*

/ لي نومةٌ مع التراب في غدِ
صباحها أولُ ليل الأبدِ ،
/ يمرّ بي الشيوخ والشبانُ
يرثرون : « يدها فوق يدي
وعينها .. » وينفث الدخانُ !

رُبَّ فتي مورِدٍ

يقرأ من شعري على الصحابِ ،

يقرأ في كتابي

قصيدةً خضراء عن جيکور

غافيةً تحت غصون النورِ

تحلم بالسحابِ .

مرّ على قبري فقال : « قَبْرُ !

وأين من هذا الرميم الشِّعرِ

يدفق بالعواطفِ

كهبةِ العواصفِ القواصفِ ؟ »

مرّ على قبري فكاد الصّخرُ
يصرخ : « تحتي نام هذا الشاعرُ
صاحبُ هذه القوافي ، يسمعُ
ما قلتموه فالعيون تدمعُ
في عالمٍ لا يرجع المسافرُ
منه ولا للنوم فيه آخِرُ .
رفقاً به ، دعوه في رقدتهِ
تؤنسه الديدانُ في وحدتهِ
كان له قلبٌ وكان أمسُ ،
حتى إذا استترّف من مدّتهِ

توسّد التراباً .
لا تقرأوا الكتاباً «

* *

ثمّ تغيبُ الشمسُ !

درم ۶ - ۱ - ۶۳

أَسْمَعُ بِبِكِي

أَسْمَعُهُ بِبِكِي ، يِنَادِينِي
فِي لَيْلِي الْمَسْتُوحِدِ الْقَارِسِ ،
يَدْعُو : « أَبِي ، كَيْفَ تَخَلِّينِي
وَحْدِي بِلَا حَارِسٍ ؟ » .
غِيلَانَ ، لَمْ أَمْجُرْكَ عَنْ قَصْدِ ...

الداء ، يا غيلان ، أقصاني .

إني لأبكي ، مثلما أنت تبكي ، في الدجى وحدي

ويستثير الليلُ أحزاني .

فكلّما مرّ نهارٌ وجاءُ

ليلٌ من البردِ ،

ألفيتُني أحسب ما ظلّ في جيبي من النقد :

أيشترى هذا القليلُ الشفاء ؟

سأطرق البابَ على الموت في دهليز مستشفى

في البرد والظلماء والصمتِ .

سأطرق البابَ على الموتِ

في بُرْهَةٍ طَالَ انْتِظَارِي بِهَا فِي مَعْبَرٍ مِنْ دِمَاءٍ ،
وَأَرْسَلُ الطَّرْفَا

فَلَا أَرَى إِلَّا الدَّجِيَّ وَالْحُوَّاءَ .

يَا وَيْلَتِي إِنْ يُفْتَحُ البَابُ
فَأَبْصُرُ الأَمْوَاتَ مِنْ فُرْجَتِهِ
يَدْعُونِي : « مَالِكُ تَرْتَابُ

بِالمَوْتِ ؟ فِي هَجْعَتِهِ

مَا يَعْدِلُ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا :

دَفْعٌ ، نُعَاسٌ ، خَدَرٌ وَارْتِخَاءٌ ! «

أَوْشِكُ أَنْ أَعْبُرَ فِي بَرْزَخٍ مِنْ جَامِدَاتِ الدِّمَاءِ

تمتدُّ نخوي كفُّها ، كفّ أمي بين أهليها :

« لا مالَ في الموت ، ولا فيه داء ! »

ثمّ تسدّ البابَ كفُّ الطيب

تجرح في جسمي ،

وهاتفاً باسمي

أسمع صوتاً ناعساً ، قد أجيبُ

فيُهزم الموتُ على صوتي ،

وربّما استسلمتُ للموت !

دَرَمٌ

دَرَمٌ ...

بنفسيَ مما عزاني بِرَمِّ

فمدي ذراعيكِ ولتحضنني

إلى هوةٍ من ظلامِ العدم ،

فما قيمة العمر أفضيه أمشي

بعكّازة في دروبِ المرَمِّ ؟

أهذا شبابي ؟ وأين الشباب ؟
ألا حُبّ ، لا زهوّ ، لا عنفوان ؟
أهذا مشيبي ؟ حصدتُ السراب
إذا كان معنى المشيب الهوان ؟
أعقبى المشيب الأسى والندم ؟
أما من شبابي الذي مرّ ذكرى ؟
أما منه مالٌ وبُقيّا شمم ؟
أكان الذي منه خلّفتُ شعرا
وبيتاً وراء الرياح أنهدم ؟
درم ...

تمنّيتُ لو متُّ بين الثلوج

على جدولٍ جمّدته النَّسَمُ ،

فروحي تجوب المروج

وتأوي إلى رمةٍ في الظُّلَم .

ومن أين للروح هذا البقاء ؟

فناء ، فناء

سوى قصّةٍ قد تُثير السَّام

يُرَدِّدها سامرٌ في الشتاء :

« لقد خطّ شعراً له من هباء ،

وكانت له زوجةٌ وابنٌ عم

وظفانٍ .. لا ، لا ، نسيْتُ ... ابتنانُ

وطفلٌ . « ، ويخبو لديه الضَّرم ،
فيغفو على المسند السامرُ
وتُفتحُ بوابةٌ من دخانٍ
عليها الدجى حائرُ
يُبعثرُ أنجمهُ من خلال الضباب .
أهذا هو الشاعر ؟
حديثٌ يُنمِ أصحاب
إذا مات ، أو عاش فهو الألم .
درَمُ
بنفسي مما عراني برَم !

درم ٥ - ١ - ٦٣

قصيدة من درم

من درمٍ أكتبها قصيده
كالنجم في آفاقه البعيده
لا يبعث الدفءَ ولا يُنيرُ ،
يلمحه الصغيرُ
فيسط الكفَّ له ، يُشيرُ

يَقْطُرُ فِي أَحْلَامِهِ السَّعِيدِ
يَعْلُقُ بِالضَّبَابِ
بِكَنْغَفَةِ السَّرَابِ
تَضَلِّلُ الْقَوَافِلَ الشَّرِيدَةَ .

* * *

الْيَأْسُ يُوحِيهَا أَوْ الْمَلَالُ
كَأَنَّهَا فِي الظُّلْمَةِ الظِّلَالُ
تَعْمِقُ الظُّلْمَةَ حِينَ تُنَشِرُ .
أظْلَمَ مَا يُقَالُ

في نفس شاعرٍ يموتُ عُمرُهُ ، يُبعثَرُ

ويُقَبَّرُ ؟

يمشي على عكازةٍ ويعثرُ ،

أيامه إلى رداءِ سَفَرٍ ،

وعيشُهُ انسلالٌ

عَبَرَ جدارِ الموتِ ما يزالُ ؟

شاء الردى ، حاول أن يُريده ،

لكنَّ وَحْشاً ضارياً يُزجِرُ

في كهفه ، وحيّةً من بابلِ التليده —

يطير نحو الموت منه شَرَرٌ ،

تفحُّ في وجه الردى وتصفرُّ ،

فيكتب القصيده

يريد أن يجدَّ البقاء ، أن يُعيده ،

أن يهدي القوافلَ الشريده

فلا تتيهَ في صحارى العدمِ .

بقبره في درَمِ .

* * *

من درَمِ أكتبها قصيده

كالنجمِ ضلَّ في سديمِ العدمِ .

درم ٥ - ١ - ٦٣

قالوا لأَيُّوبَ

قالوا لأَيُّوبَ : « جفاك الآلهة ! »

فقال : « لا يجفو

من شدّة بالأيمان ، لا قبضتاه

تُرْخَى ولا أجفانهُ تغفو » .

قالوا له : « والداء من ذا رماه

في جسمك الواهي ومن ثبتته ؟ »

قال : « هو التكفيرُ عما جناه

قبايلُ والشاريُ سُدىً جنّته .

سيهزَمُ الداءُ : غداً أغفوه

ثمّ تفيقُ العيّنُ من غفوّه

فأسحبُ الساقَ إلى خلوّه

أسألُ فيها اللهَ أن يعفو .

عكّازتي في الماء أرميها

وأطرق البابَ على أهلي .

إنّ فتحوا البابَ فيا وَيَلِي

من صرخةٍ ، من فرحةٍ مسّتُ حوافيها

دوامةَ الحزنِ .. وأأيوبُ ذاكُ ؟

أم أن أمنيّه

يقذفُها قلبي ، فألفيها

مائلةً في ناظري حيّه ؟

غيلان ، يا غيلان ، عانقُ أباك ! «

*

يا ربِّ لا شكوى ولا من عتاب ،
ألسْتَ أنت الصانعَ الجِسمَا ؟
فمن يلوم الزارع التَمًّا
من حوله الزرعُ ، فشاء الخراب
لزهرةٍ والماءَ للثانيه ؟
هيهات تشكو نفسيَ الراضيه .
إني لأدري أنّ يوم الشفاء
يلمح في الغيبِ ،
سينزع الأحزانَ من قلبي
وينزع الداءَ ، فأرمني الدواء ،

أرسل

أرمني العصا ، أعدو إلى دارنا وأقطف الأزهار في درّبي
ألمّ منها باقةً ناضره
أرفعها للزوجة الصابره
وبينها ما ظلّ من قلبي !

درم ٦ - ١ - ٦٣

الليّة الأخيرة

وفي الصّباح يا مدينةَ الضبابِ
وأشّمس أمنيّةً مصدرٌ تُدير رأسها التّجميلُ
من خدلِ السّحابِ ،
سيحمل المسافر العليلُ
ما ترك الداءُ له من جسمه المذاب

ويهجر الدخانَ والحديدُ
ويهجر الأسفلتَ والحجرَ .
لعله يلمح في درامٍ من نَهْرٍ ،
يلمح وجهَ الله فيها ، وجهه الحديد
في عالم النقود والخمور والسهر .

* *

رُبَّ صباحٍ ، بعد شَهْرٍ .. بعد ما الطيب
يراه - من يعلم ماذا خبأ القَدَرُ ؟ -

سيحمل الحقيبةَ المليئة

بألف ألفِ رائعٍ عجيبٍ ،

بالحلي والحجر ،

باللُعبِ الخبيثه

يفجأُ غيلانَ بها - يا طول ما انتظر !

يا طول ما بكى ونام تملأ الدموعُ

برنتةِ الأجراسِ أو بصيحةِ الذئاب

عوالمِ الحُلمِ له ، وتنشر القلوع

يجوب فيها سندبادُ عالمِ الخطرِ :

هناك فارس النحاس يرقبُ العُباب

ويُشرع السَّهْمَ ليرمي كلَّ من عبَّرَ !

* * *

إنَّ يكتب اللهُ لي العَوْدَ إلى العراق

فسوف أَلُمُّ الثَّرى ، أعانقُ الشَّجرَ ،

أصيحُّ بالبَشَرِ :

« يا أَرَجَ الجَنَّةِ ، يا إِخْوَةَ ، يا رفاقُ ،

أَلْحَسَنُ البَصْرِيِّ جابَ أرضَ واقٍ واقٍ

ولندنَ الحديديِّ والصَّخْرَ ،

فما رأى أحسنَ عيشاً منه في العراق . «
ما أطول الليلَ وأقسى مديَةَ السَّهَرِ
صديئةً تحزُّ عينيَّ إلى السَّحَرِ !

* * *

وزوجتي لا تطفى السراجَ : « قد يعودُ
في ظلمة الليل من السفر . »
وتُشعل النيرانَ في موقدنا : « برودُ
هو المساء ، وهو يهوى الدفءَ والسَّمَرُ . »

* * *

وتنظفي مدفأتي ، فأضرمُ اللهبُ
وأذكر العراقَ : ليمت القمر الحبيب
من أفق العراق يرتمي عليّ : آهٍ يا قمر
أما لثمتَ وجهه غيلان ؟ أنا الغريب .. فمياحه انبثاكر
يكفيه ، لو لثمتَ غيلانَ ، أنْ انتثر
منك ضياءٌ عَبَّرَ شبَّكَ الأبِ الكئيب
ومسَّ منه الثَّغْرَ والشَّعْرَ :
أحسُّ منه أنَّ غيلانَ (شذىً وطيباً
من كَفِّهِ اللَّيْثَةِ انتثر)
عابثَ شَعْرِي ، صاحَ : « آهٍ جاء

أبي ، وعاد من مدينة الحجّرة ! «
وشدّ بالرداء .

ما أطول الليلَ وأقسى مدينةَ السّهَرِ
ومدينةَ النومِ بلا قمر !

لندن ٤ - ١ - ٦٣

القصيدۃ والغناء

جنازتي في الغرفةِ الحديدِ
تهتف بي أن أكتب القصيده ،
فأكتبُ
ما في دمي وأشطبُ
حتى تلينَ الفكرةُ العنيدِ .

وغرفتي الحديده
واسعة . أوسعُ لي من قَبْرِي .
إذا اعتراني تَعَبُ
من يقظةٍ فالنوم منها أعذبُ ،
ينبع حتى من عيون الصَّخْرِ ،
حتى من المدفأةِ الوحيدة .
تقوم في الزاوية البعيدة .

* *

وترفع الجنازةُ اليابسةُ المهْدَمَ
من رأسها ، ترنو إلى الجدرانِ
والسقفِ والمرآةِ والتماني .
ما للزوايا مظلمه
كأنهنَّ الأرضُ للإنسانِ
تريد أن تحطِّمه
بالمال والحمور والغواني .
والكذب في القلب وفي اللسانِ ،
تريدُ أن تُعيده
للغابة البليده ؟

وصفحةُ المرآةِ ما لها تُطلُّ خاويه

ما أثمرتُ بغانيه ،

بالشفةِ المرجانِ

تُنيرها ، كالشَّفَقِ ، العينانِ

وبالنهودِ العارِيه ؟

كهذه المرآةِ

ستُصبحُ الأرضُ بلا حياةٍ .

وفي اللياليِ الداجِيه ،

في ذلك السكونِ ليس فيهِ

إلاّ الرياحُ العاويه ،

سيفزع اللهُ من الأمواتِ
ويسحب الموتَ ويغفو فيه
مثلَ دثارٍ في الليالي الشاتيه

* * *

وهكذا الشاعرُ حين يكتب القصيده
فلا يراها بالخلود تنبضُ ،
سيهدمُ الذي بنى ، يقوِّضُ
أحجارَها ثمَّ يملُّ الصمتَ والسكونا

وحين تأتي فكرةٌ جديدة ،
يسحبها مثلَ دثارٍ يحجب العيوننا
فلا ترى . إن شاء أن يكونا
فليهدم الماضي ، فالأشياء ليس تنهضُ
إلاّ على رمادها المحترقِ
منتشراً في الأفقِ ...
وتولد القصيدة .

درم ١٠ - ٦٣١

هَرَمَ الْغَنَى

بالأمسِ كنتُ إذا كتبتُ قصيدةً فرحَ الدمُ
فأغمغمُ

وأهيم ما بين الجداول والأزاهر والنخيل
أشدو بها ، أترنمُ :

زادُ لروحي منذ سَمَسَمَةَ الصبّاحِ إلى الأصيل .

زادُ .. ولكنْ عنه قد صدفت ، تجرع ولا تريدُ
ما يُنعش الآمالَ فيها ،

هي حشُرجات الروح أكتبها قصائد لا أفيد
منها سوى الهُزء المرير على ملامح قارئها .

هرم المغني ، هدّ منه الداءُ فارتبك الغناءُ .

بالأمس كان إذا ترنم يُمسك اللَّيْلُ الطروبُ

بنجومه المترنّحات فلا تخرّ على الدروب ،

واليوم يهتف ألف آهٍ لا يهزُّ مع المساء

سَعَفَ النخيل ولا يُرجّحُ زورقَ العرس المحلّي

بعيون آرامٍ ودفلى

ودرابكَ ارتعدت حناجرُها فأرعدت الهواء .

هرم المغني فاسمعوه ، برغم ذلك ، تسعدوه ،

ولتوهموه بأنَّ من أبدٍ شبابٌ من لحونٍ

وهوى ترقرقُ مقلناه له وينفج منه فوه .

هو مائتٌ ، أفتبخلون

عليه حتى بالحطام من الأزاهر والغصون ؟

أصغوا إليه لتسمعوه

يرثي الشبابَ ولا كلامَ سوى نشيجٍ : « بالعيون

سَلِّمْ عَلَيَّ إِذَا مَرَرْتَ . « ،
أَتَى وَسَلَّمَ .. صَدَّقْ قَوْه !
هرم المغنبي فارحموه .

درم ۵ - ۱ - ۶۳

أيضاً فنت ابلان يا بدير لترك اعيننا
نقد مضمناً كما حكم ووضناً عاذون وبعاد لبين
باينلان : ان ما تمسرة اصبح لان بسطها ممكنة

قصيدة الى العراق الشاعر

عملاءُ  يُطلقون النارَ ، آهٍ ، على الربيعِ .

سَيُؤَدُّ ما جمعوهُ من مالٍ حرامٍ كالجليدِ

ليعود ماءً منه تَطْفُحُ كلُّ ساقيةٍ ، يُعيد

ألقى الحياةَ إلى الغُصُونِ اليابساتِ فتستعيد

ما لُصَّ منها في الشتاء ~~الذي~~ ... فلا يضيع .
~~الذي~~
يا للعراق !

يا للعراق ! أكاد ألمحُ ، عَبْرَ زاخرةِ البحارُ ،
في كلِّ منعطفٍ ، ودربٍ ، أو طريقٍ ، أو زقاقٍ
عَبْرَ الموانئِ والدروبِ ،

فيه الوجوهَ الضاحِكاتِ تقولُ : « قد هربَ التتارُ
واللهُ عادَ إلى الجوامعِ بعد أن طلعَ النهارُ ،
طلعَ النهارُ فلا غروب ! »

يا حفصةُ (١) ابْتَسَمِي فَتَعْرُكِ زَهْرَةَ بَيْنِ السُّهُوبِ ،
أَخَذْتُ مِنَ الْعَمَلَاءِ ثَأْرَكَ كَفُّ شَعْبِي حِينَ ثَارَ
فَهْوَى إِلَى سَقَرٍ عَدُوِّ الشَّعْبِ . فَاَنْطَلَقَتْ قُلُوبُ
كَانَتْ تَخَافُ فَلَا تَحْنُ إِلَى أَخِي عَبْرَ الْحُدُودِ ،
كَانَتْ عَلَى مَهَلٍّ تَذُوبُ ،
كَانَتْ إِذَا مَالَ الْغُرُوبِ
رَفَعَتْ إِلَى اللَّهِ الدَّعَاءَ : « أَلَا أَغْنَانَا مِنْ ثَمُودِ ،

(١) عذراء عربية من الموصل ، صلبها ~~الشيوعيون~~ ومثلوا بها .
الشيوعيون

من ذلك المجنون يعشق كلَّ أحمرَ ، فالدماءُ
تجري وألسنةُ اللهبِ تُمدُّ ، يُعجبه الدمار .
أحرقه بالنيران تهبط ، كالبحيم ، من السماء ،
واصرعه صرعاً بالرصاص ! فأنه شبحُ الوباء » .

*

هرع الطبيبُ إليّ - آه ، لعلّه عرف الدواء
للداء في جسدي فجاء ؟ -

هرع الطبيب إليّ وهو يقول : « ماذا في العراق ؟
الجيشُ ثارَ ومات » « .. » - أيّ بُشْرَى بالشفاء !
ولكدتُ من فرَحِي أقوم ، أسير ، أعدو دون داء .
مرحى له .. أيّ انطلاق ؟!

مرحى بلجيشِ الأمةِ العربيةِ انتزع الوثاق !
يا اخوتي بالله ، بالدم ، بالعروبة ، بالرجاء ،
هُبّوا فقد صرِعَ الطغاةُ وبددَ اللّيلَ الضياء !
فلتحرسوها ثورةً عربيّةً صَعِقَ « الرِّفاقُ »

منها وخرّ الظالمون ،

لأنّ « تمّوز » استفاق°

من بعدِ ما سرق العميل سناه ، فانبعثَ العراق°

لندن - مستشفى سان ماري ٨ - ٢ - ٦٣

١٤

فهرست

٥	رحل النهار	ز
١٢	هدير البحر والأشواق	
١٦	نداء الموت	
١٩	ربيع الجزائر	...
٢٦	خديني	...
٣٣	حامل الحرز الملون	...
٣٦	سفر ايوب	...

٨٢	متزل الاقنن
٨٩			❖ وصية من مختصر
٩٣			...		الشاهدة
٩٩			...		اسمعه يبكي
١٠٣				...	دَرَمٌ
١٠٧					قصيدة من دَرَمٌ
١١١					قالوا الأيوب ...
١١٦			الليلة الأخيرة ...
١٢٣		التصيد والعنقاء
١٢٩			❖ هَرَمِ المغني
١٣٣			❖ قصيدة إلى العراق النائر

صدر عن دار العلم للملايين

دواوين الشاعر ايليا ابو ماضي

ق.ل.

٣٠٠

تبر وتراب

٣٠

الحمائل

٣٠٠

الجداول

مجموعات الاستاذ سليمان العيسى

٣٠٠

أعاصير في السلاسل

١٥٠

شاعر بين الجدران

٣٠٠

الدم والنجوم الحضر

١٥٠

ففي غفار (قصة شعرية)

٣٠٠

رمال عطشى (طبعة جديدة)

٢٠٠

صلاة لأرض الثورة

صدر عن دار العلم للملايين

مجموعات الاستاذ ابراهيم العريض

ق. ل.

٢٢٥

العرائس

١٧٥

قبلتان (قصة شعرية)

٢٠٠

أرض الشهداء (ملحمة عن فلسطين)

٣٠٠

شموع

من الشعر الحديث

(مختارات لاشهر شعراء العالم العربي الحديث)

جمعها الاستاذ ابراهيم العريض

*

مجموعات الاستاذ أحمد الصافي النجفي

٣٥٠

الامواج

٣٠٠

الاغوار

٣٠٠

التيار

٣٠٠

الثلال

٣٠٠

الحان اللهيب

للشاعر أيضاً
في منشورات دار العلم للملايين

المعبد الفريبي

(شعر)

